# علاقة الفرد بالمجتمع

للدكتور عبد العزيز أمين

يعزى الى " أرسطو " الفيلسوف اليونانى أنه قال : " الإنسان مدنى بالطبع "، وقد أراد " بمدنية " الانسان أنه محتاج الى بنى جنسه ليعيش معهم فى اجتماع . أى أن الإنسان اجتماعى بفطرته ، فلا يمكنه أن يعيش منفردا . ويسمى علماء النفس هذا الميل الفطرى " بغريزة الاجتماع " ، تلك الغريزة التى أثبتت الابحاث أنها ليست مقصورة على الإنسان بل هى عند الحيوانات أيضا ، ولاسيما فى وقت الخطر ، أو حين تربطها غاية مشتركة تسعى لتحقيقها . فالنحل مثلا يعيش جماعات ، فهو مدنى بالطبع ، وكذلك النمل والقيلة وغير ذلك من أنواع الحيوان . غير أن الفرق بين هذه الغريزة عند الإنسان وعند الحيوان أن الأول يستحيل عليه أن يعيش منفردا . ووجه الاستحالة ظاهر اذا تتبعنا حياة الفرد . فالطفل منذ الولادة لايستطيع أن يعيش معتمدا على نفسه ، بل لابد من أن يشرف على إرضاعه وحضانته وحمايته ، أمه أو من يقوم مقامها ، يعاونها آخرون من أعضاء الأسرة . ثم ينمو الطفل ، ويمر فى أطوار مختلفة من الطفولة الى الغلومة الى المراهقة . وهو فى كل هذه الأطوار عاجز عن أن يكفل نفسه بنفسه ، وأن يقوم بحاجاته . وهو فى كل هذه الأطوار خاضع لمؤثرات المجتمع الذى يعيش فيه ، والذى يحيط به صغيرا كان المجتمع أو كبيرا . وهو فى كل هذه الأطوار يتعلم من المجتمع لغته ، ونظام حياته ، وعاداته ، وتقاليده ، وطرق كسب العيش فيه ، وغير ذلك مما هو ضرورى له فى طور الرجولة . فهو اذاً فى جميع هذه الأطوار الأولى محتاج الى مجتمع يعيش فيه ويتعلم منه ، لا بل ويعتمد عليه . وكل هذه الأطوار السابقة لمرحلة الرجولة إعدادية ، حتى لقد أطلق عليها بعض علماء النفس — توسعا — اسم "مرحلة الطفولة" .

اما مرحلة الرجولة فهى مرحلة النضوج والرشد ، المرحلة التى يقر المجتمع فيها الفرد ، ويعترف به عضواً يحسن التصرف ومسئولا عن سلوكه ، عضوا مساهما ، له حقوق وعليه واجبات .

وحتى فى مرحلة الرجولة هذه لايستطيع الفرد أن يعيش بعيدا عن المجتمع . اذ لو فرضنا وجود هذا الفرد لكان من أهم مايحتاج اليه — للمحافظة على حياته — الغذاء ، وهو بما ركب فيه من قوى قاصر — منفرداً — عن تحصيل قوته ، الذى لايمكن أن يصل اليه الا بالزرع

والحصاد والطحن والعجن والخبز ، أو بمطاردة الحيوان وصيده واعداده للطعام . وهو فى كلتا الحالتين محتاج الى من يعاونه على نيل غذائه . ثم هو لابد معرض لاخطار الحيوانات المفترسة ، والكوارث الطبيعية ، فلا بد لدفع هذه الاخطار من وجود آخرين يعاونونه على حمايته ، وحفظ حياته . هذا الى أشياء كثيرة ضرورية لحفظ الحياة لا تتسنى للإنسان منفردا .

فاذا تقرر أن الانسان لا يستطيع أن يعيش من غير مجتمع كان لنا أن نسأل عن نوع المجتمع الذى يحتاج اليه . قد يكون المجتمع الأسرة وقد يكون القبيلة ، وقد يكون القرية ، وقد يكون المدينة أو ماهو أشمل من المدينة كالأمة والدولة . لا بل قد يتسع المجتمع فيشمل الاسرة البشرية أو العالم أجمع .

وسأقصر حديثى هذا على علاقة الفرد بأمته . والأمة — كما يعرفها علماء الاجتماع — جماعة من الناس يرجع أغلبهم الى أصل واحد ، وتجمعهم تقاليد ، وأخلاق ، ومصالح ، وأمانى ، وآمال ، واحدة . ولكل أمة فى الغالب هيئة مشتركة تهيمن عليها ، وتصون كيانها ، وتكفل أمنها ، وتشرف على إدارتها ، وتصريف أمورها . هذه الهيئة هى الحكومة . وتسمى الأمة والحكومة معا بالدولة .

وعضوية الفرد فى أمة معناه أن علية التزامات أو واجبات نحوها يتحتم عليه القيام بها لهذه الأمة كمجموعة ، ولأعضائها كأفراد . ثم هو من ناحية أخرى له حقوق مكفولة نظير قيامه بالواجبات . والهيئة التى تشرف على ضمان حقوق الفرد ، وتتأكد من أنه يقوم بما عليه من واجبات ، هى الحكومة . فالحكومة إذاً وكيل عن الأمة جميعها كوحدة ، وعن أفرادها كأعضاء . وهى تعمل لمصلحة موكلها الذى عليه أن يعاونها حتى تستطيع القيام بواجبها . وهذا الوصف ينطبق فى الواقع على الحكومات الديموقراطية التى قال عنها "إبرهام لنكولن" رئيس الولايات المتحدة فى القرن الماضى : إنها حكومة الشعب ، وضعها الشعب ، لتخدم الشعب .

وهنا نتساءل ماهى حقوق الفرد ، وما هى واجباته ؟

أما حقوقه فأهمها الحرية . ولا نقصد بالحرية أن يكون الفرد مطلقا يقول ويفعل مايشاء دون أى اعتراض . كلا ، لأن هذا خطأ فى فهم الحرية . فالحرية لابد أن تقيد بقيد ، هو عدم تعارضها مع حرية الغير ، وعدم إخلالها بواجب مفروض . فحق الحرية انما منح لسعادة المجتمع . ولا تتوافر السعادة إذا أطلقت الحرية لكل فرد من غير قيد . فهذا الضرب من الحرية المطلقة انما يقود للفوضى التى تتنافى مع الغرض الأصلى من وجود المجتمع . وللحرية مظاهر منها : الحرية الشخصية فالفرد حر فى غدوه ورواحه ، لا يمنعه مانع ولا يقبض عليه بدون سبب قانونى . وقد نص الدستور المصرى على عدم جواز إلقاء القبض على إنسان أو حبسه إلا وفق أحكام القانون . ومنها حرية الملك فللإنسان أن يحوز مايشاء فلا يحرمه ولا ينتزع منه إلا بمقتضى القانون . فاذا حرم القانون مثلا حيازة الأسلحة النارية

من غير ترخيص، فانه بمقتضى هذا التحريم تنزع الأسلحة غير المرخصة من أيدى حائزيها . ومنها حرية العمل والصناعة والتجارة وفقا للقانون . فهناك مثلا بعض المهن التى لا يصح مزاولتها إلا بشروط خاصة كالطبيب والمحاماة ، وكذلك الحال فى الصناعة والتجارة ، فلا يصح فتح بعض المصانع ، ولامزاولة بعض أنواع التجارة ، إلا بتصريح . ومنها حرية الفكر فللفرد أن يفكر كما يشاء، وأن يجاهر بآرائه فى حدود القانون، على ألا تكون هذه الآراء ثورية ضد نظام الحكم وقواعد الدستور، وعلى ألا تمس كرامة الناس أو تعتدى على أديانهم. ومنها الحرية الدينية فللإنسان أن يعتنق ما يشاء من الأديان ، وأن يقوم بما يشاء من الفرائض والتعبدات. ومنها حرية الصحافة وهى نوع من حرية الفكر... ومنها حرية الاجتماع ما لم يكن من شأنه تعريض الأمن العام للخطر .

ومن حقوق الفرد أيضا المساواة ، فأفراد الأمة جميعهم سواء أمام القانون الذى يحمى الجميع. وهم سواء فى الضرائب بمعنى أن كل فرد يقوم بدفع الضريبة المقررة عليه بحسب ثروته. وللفرد حقوقه السياسية، كحق تقديم العرائض والظلامات، وحق الانتخاب، وهو فى مصر للذكور البالغين من العمر إحدى وعشرين سنة ولم تصدر ضدهم أحكام مزرية بالشرف .

هذه أهم الحقوق مجملة ؟ أما الواجبات ففى مقدمتها إطاعة القوانين ، والإخلاص للمصلحة العامة. فإن القوانين إنما تسن لمصلحة جميع أفراد الأمة وسعادتهم فعليهم أن يحترموها وأن ينفذوا أحكامها . والقوانين أنواع : منها المدنية التى تتعلق بمعاملات الناس بعضهم ببعض ، والجنائية وهى التى تتعلق بالجرائم . وشبيه بالقوانين اللوائح التى تسن للمصلحة العامة كوجوب التبليغ عن المواليد والوفيات ، وعدم إقلاق السكان فى ساعات معينة من اليوم . ومن الواجبات أداء الضرائب بأنواعها المختلفة، فالحكومة تشرف على إدارة شؤون البلاد . وهى فى حاجة الى أموال تنفقها لمصلحة البلاد . وهى تحصل على هذه الأموال من الضرائب. فلو لم يقم الفرد بواجب دفع ما عليه من الضرائب لم تستطع الحكومة الوكيلة عن الأمة القيام بواجبها . وفى هذا شقاء للفرد وحرمانه من سعادته . ومن واجبات الفرد التعلم فى المرحلة الالزامية . وقد نص الدستور المصرى على أن يكون التعليم الأولى إلزاميا للبنين والبنات . ومعنى هذا أن من يخالف نص الدستور تفرض عليه العقوبات . وكذلك من واجبات الفرد الخدمة العسكرية فسلامة الوطن تتوقف على حمايته والدفاع عنه . والخدمة العسكرية واجبة فى مصر متى بلغ الشاب التاسعة عشرة . وهناك شروط إذا توافرت أعفى الشاب من هذه الخدمة .

هذه نبذه مجملة عن علاقة الفرد بالمجتمع ، أو علاقته بأمته ، وماله من حقوق قبلها وما عليه من واجبات نحوها، قصدنا بها أن يتعرف كل منا ماله من هذه الحقوق وما عليه من هذه الواجبات فليس هناك أسعد من أمة عرف أبناؤها جميعا ما لهم قبلها من حقوق وما عليهم نحوها من واجبات .

عبد العزيز أمين
الأستاذ بدار العلوم

# الجانب الاجتماعى فى الدعوة الإسلامية

للأستاذ محمد يوسف موسى

جاء الإسلام والعالم رجلان : رجل مفتون بالمال متهالك على الشهوات ، ورجل زاهد فى الدنيا جملة واحدة ، فكان دينا وسطا معتدلا لما سبقه من أديان بما فرض من شرائع ووضع من مبادئ وأصول . وليس من سبيل إلى الإلمام ، فى دقائق معدودة ، بتشاريعه المختلفة ، وانما حديثى كلمات سريعة فى الجانب الاجتماعى مما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه من دين وتشريع .

وليس عجيبا ، والدعوة الإسلامية جاءت للجتمعات من أدناها إلى أعلاها ، أن نراها ترعى الناحية الاجتماعية رعاية كاملة لم نرها فى دين سابق أو دعوة إصلاحية تالية ، وإننا نلمس ذلك فى ناحية العقيدة ، وناحية التكاليف الجسمية والمالية وفى الأخلاق والآداب التى وحدت بينها .

احتفل الإسلام أيما احتفال بوجوب العمل و بالنهى عن التواكل والتبطل . يقول الرسول ، لأن يأخذ أحدكم حبلا ، فيذهب فيأتى بحزمة حطب فيكف بها وجهه ؛ خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" ، ولعمرى ليس بعد هذا أبعث على العزة والأنفة الحق فى الانسان ! بل لقد جعل الرسول العمل للحياة خيرا من بعض ضروب العبادة ، فإنه ليروى أن ناسا من الصحابة أكثروا من الثناء على رجل بمحضر من الرسول المعلم الحكيم ؛ فقالوا : إن فلانا يصوم النهار و يقوم الليل و يكثر الذكر ، فقال : أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ فقالوا كلنا يارسول الله ، فقال : "كلكم خير منه" . بل إن النبى اعتبر السعى إلى الرزق ضربا من الجهاد فى سبيل الله إذ قال لنفر من الصحابة رأوا شابا ذا جلد وقوة قد بكر ليسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله ! فقال : "لاتقولوا هذا ؛ فإنه إن كان خرج يسعى على أولاد صغار فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ؛ وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله" .

وأخيرا فى هذه الناحية ، ناحية العمل ، نجد الرسول يتوعد بالوعيد الشديد المتواكل الفارغ من العمل ، فيقول : " أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ " يريد الذى يظلم الناس بأن يستفيد منهم ولا يفيد ، ويعتمد على الناس فى كفاية حاجاته .

هكذا أوجب الإسلام العمل ، ولكن ما كل أمرئ يواجد عملا أو يقادر على عمل يفيه الحاجة ، وهنا نجد الشريعة الإسلامية قد احتاطت لهذه المشكلة ، أعنى مشكلة الفقر والعجز عن العمل ، فقررت فى مال الغنى حقا معلوما للسائل والمحروم ، وفرضت الزكاة ، وجعلت النزول عن شيء من المال كفارة لبعض الذنوب والآثام .

وأيم الله ، إن فى اخراج زكاة المال ، وزكاة الزروع ، وزكاة عروض التجارة ما يملأ البلاد بدور الصناعة والمستشفيات ونحوها من المنشآت العامة ، وما يغلق كثيرا من السجون . إنه انما يسرق اللص ويجرم المجرم حينما يرى ، فى حسرة وألم ، أن الغنى منعه حقه المشروع وذهب ينفقه فيما لا يكسب مجدا أو يبقى على كرامة ، فيحاول أن يأخذ بنفسه حقه الممنوع فيصبح مجرما وعدوا للمجتمع الذى يعيش فردا منه .

وحين عالج الإسلام مشكلة الفقر والعجز عن العمل كما رأينا ، سوى بين المسلم والذمى من المسيحيين واليهود ، حتى يكون المجتمع كله سليما وسعيدا . هذا عمر بن الخطاب يرى أن من العدل أن يوقى غير المسلم الحاجة متى عجز عن العمل . بأن يعطى من بيت المال ما يفى بحاجته ، جزاء بما كان يفيد به بيت المال وهو قادر على العمل . وكذلك خالد بن الوليد فى عهد نصارى الحيرة يرى أن " أيما شيخ ضعف عن العمل ، وأصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الإسلام " .

أليس فى هذا المبدأ ما يقوم عليه النظام الذى يسمى اليوم التأمين الاجتماعى ، والذى تسعى الأمم جاهدة للوصول اليه تحقيقا للعدالة الاجتماعية وتأمينا للعمال ؟

لكن الاسلام يعرف مع ذلك كله أن النفس أمارة بالسوء ، وأنها تنزع إلى التطلع إلى ما ليس لها ، فحال بتعاليمه بين أن تصير هذه النزعة داء ، فكان مما قرره القرآن أن الله رفع خلقه بعضهم فوق بعض درجات ، وأن ليس لمن قدر عليه رزقه أن يتمنى ما فضل الله به غيره ، كما كان من جوامع كلم الرسول : "عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى وإياك والطمع فانه الفقر الحاضر" .

وهناك جانب آخر تتجلى فيه طرافة الإسلام وعبقريته ، أعنى ناحية الصلة التى يجب أن تكون بين أفراد المجتمع الإسلامى ، وناحية العدالة والمسئولية فى صغار الأمور وكبارها . إنما المؤمنون أخوة ، والناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه — كل أولئك من المبادئ التى جاء بها القرآن والحديث ، فكانت أساسا للمساواة التامة التى ظفرت بها الإنسانية بفضل الإسلام لأول مرة فى التاريخ .

وليس ذلك ، فحسب ، بل نسمع الرسول يقول : " أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس ، وعلم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش الرسول وغش جماعة المسلمين " . ويقول : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته " .

وهكذا ، متى أيقن المجتمع بعدالة الولاة ، وعرف جميع أفراده المسئولية وقدروها حق قدرها ، فقد قدر له أن يكون مجتمعا صالحا سعيدا ، وأن تكون الأمة التى تقوم عليه أمة مجيدة سعيدة .

ليس هذا الذى أقول من النظريات المثالية فحسب ، بل إنه من التعاليم التى رعاها رجالات الإسلام أتم رعاية ، وساروا عليها فى حياتهم الاجتماعية العامة .

لقد أتى عمر بن الخطاب ذات يوم بقدر من سنام وكبد ، فقال : أنى لنا هذا ؟ قالوا ياأمير المؤمنين من الجزور التى نحرت اليوم للناس ، فقال بخ . بخ ! بئس الوالى أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها ( يريد عظامها وغير الطيب منها ) هات لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت !

وهذه الروح العالية فى عدالتها ومساواتها نجدها تسرى من عمر إلى عماله ، ها هو ذا أبو عبيدة ابن مسعود الثقفى يرسل إلى محاربة فريق من الفرس ، فلما فتح الله عليه صلحا جاء اليه بعض أمرائهم بشىء من لذيذ طعامهم ، لكنه امتنع من الإصابة منه لما علم أنه قد خص بذلك دون من خرج معه للجهاد فى سبيل الله !

إن لنا أن نقرر بحق أن الإسلام لم يدع مشكلة من مشكلات هذا العصر الاجتماعية إلا عالجها علاجا حاسما وسهلا ميسورا ، علاجا لا نجده فى دين آخر أو أية دعوة إصلاحية أخرى .

إن أهم مشكلات هذا العصر ثلاث ، مشكلة الحكم ، ومشكلة الفقر ، ومشكلة المرأة . وإنه قد قرر علاج كل منها فى آية قصيرة من آى كتابه الكريم ، ففى الأولى يقول : " وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله " ، ويعنى هذا فى وضوح أن يقوم الحكم على أساس الديمقراطية فى غير نقص لهيبة الحاكم ، وفى الثانية يذكر من وسع الله عليهم فى الرزق " وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " ، وفى ذلك إنصاف للفقير ماديا وأدبيا يجعل ما يصل اليه من مال الغنى حقا واجبا ، لا إحسانا وتفضلا ، وفى الأخيرة ، وهى

مشكلة المرأة ، التى تكاد تأخذ دورا جديدا عنيفا فى مصر والشرق ، يقول القرآن عن النساء : " ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " ، وهـذا معناه إنقاذ المرأة من حياة الرق والاستعباد التى كانت تحياها قبل الإسـلام وتقرير مساواتها للرجل مع حفظ حق الرجولة وكرامتها .

لقـد عرفت يقينا فضل الإسلام فيما يتصل بالمرأة وأنا بفرنسا عام ١٩٣٩ ، فقد كان لخادمة الأسرة التى كنت أعيش بينها من القسمات والخلال ما ينبىء بكرم أصلها ، وفى الحق تبين صدق فراستى ، وأن عمها غنى رفض أن يتولى تربيتها ، فكان أن صارت خادمة ولم يستطع القضاء أن يكرهه على ما لا يريد ، ولما علمت ربة الأسرة منى أن الإسلام وشريعة الإسلام تكفل للمرأة المعيشة الراضـية ، سواء أكانت بنتا أو أختا أو أما أو زوجا أو نحو ذلك ، عجبت وضرت ، وقالت ، لو أن الأمر مثل هذا فى تشريعنا وديننا لما رأينا فتاة أو امرأة تضطر لكسب عيشها بنفسها فى كثير من المشقة والهوان ، ولرأينا الناس جميعا سعداء !

محمد يوسف موسى

أستاذ الأخلاق بكلية أصول الدين بالأزهر

---

نحن فى عصر لا سؤدد فيه إلا لمن كبر عقله ، وكثر علمه ، ولا بين زمان الحكم عمن هو أطهر نفساً وأشد إخلاصاً ، من أجل ذلك انصرفت الهمم فى أرجاء أوروبا إلى التعليم .

" الأمير مصطفى فاضل "